مكية الجزء الثلاثون سورة البلد آياتها ٢٠

سورة البلد، مكيّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يقول أقسم بهذا البلد، وهو مكة المكرمة، وقد أقسم الله به في سورة التين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾ [التين:١-٣]، فأقسم الله عَزَّوَجَلَّ به؛ لعظمته، ومنزلته، فهو حرم آمن، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ [العنكبوت:٦٧]، وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً»**[1]، كانت تُغزى البلدان إلا قريش، وكان معظمًا في جميع الأديان حتى عند أهل الجاهلية.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ هذا إخبار من الله عَزَّوَجَلَّ أنه سيجعل مكة حلالًا لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقاتل فيها، وهي من البشارات بالفتح العظيم، وفعلًا دخلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلالًا، وأحلت له ساعة من النهار، حتى قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يَسْفِكُ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدُ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنِ ارْتَخَصَ بِهَا أَحَدٌ، فَقَالَ: أُحِلَّتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ اللهَ أَحَلَّهَا لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَلَمْ يُحِلَّهَا لِأَحَدٍ غَيْرِي، ثُمَّ هِيَ حَرَامٌ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، يَا خُزَاعَةُ: إِنَّكُمْ قَتَلْتُمْ هَذَا الْقَتِيلَ مِنْ هُذَيْلٍ وَأَنَا وَاللهِ عَاقِلُهُ فَمَنْ قَتَلَ بِهَا قَتِيلًا بَعْدَ هَذَا فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيرَتَيْنِ: إِنْ أَحَبُّوا قَتَلُوا، وَإِنْ أَحَبُّوا أَخَذُوا الدِّيَةَ»**[2]، وهذه خصيصة لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليست لغيره؛ ولذلك رد أبو شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمرو بن سعيد، حين استدل بأن مكة كانت حلالًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ قيل آدم وذريته، وهو قول مجاهد واختاره ابن كثير وقيل: أقسم الله بهم؛ لأنهم آية من آياته العظيمات، جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، ومكنهم تمكينًا عظيمًا، كما قال

(١) متفق عليه، البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).
(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٨٦)، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:٢٦]، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين:٥].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أَيْ: في شدة خلق حيث أن جنس الإنسان في مكابدة، يكابد وهو في بطن أمه، ثم يكابد عند خروجه منها، ثم يبدأ في المكابدة وهو يبحث عن الثدي لالتقامه، ويأتيه الجوع والمغص والحرارة، ثم إذا صار طفلًا يحبو تارة ويقوم تارة وإذا به يكابد؛ ولذلك تجد كثيرًا من الأبناء هذا يكسر رأسه، وتنقطع يده، ويقع على وجهه، فإذا ما استقام أمره وقارب الاحتلام وإذا به في مكابدة، يكلف بعض أمور الخدمة، ثم يهمه شأن نفسه من الزواج وغيره، ثم تقع عليه التكاليف فيكابدها فقل من يوفق، حتى المؤمن يكابد هذه الحياة، فيبتلى المرء على قدر دينه، وقد رأى النبي ﷺ رجلًا لا يأتيه الحمى ولا الصداع، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»(١).

ومكابدة الإنسان في هذه الحياة أمر ملاحظ لكل أحد، فالغني يكابد، والملك يكابد، والرجل يكابد، والمرأة تكابد، والمستقيم يكابد، والفاجر يكابد، كل في مكابدة والمعان من أعانه الله والمُسلَّم من سلمه الله، وتصريف الإنسان على هذا الحال يدل على قدرة الملك الغلاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٢)، إلا أن المؤمن يستفيد من هذه المكابدة رفعًا للدرجات، وتكفيرًا للسيئات، والله المستعان.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أيظن هذا الإنسان الذي يكابد الحياة أن لن يقدر عليه أحد من الناس أو من غيرهم، يظن أنه كبير ومتعالي، ومن ذا الذي يصرعه ويقهره، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ قادر على أن يضيق عليه، وأن يهلكه، وقادر على أن يفعل به ما شاء، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:١٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٣)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ من شدة كبره وتعاليه وغطرسته يقول: أنا قد أنفقت الأموال الكثيرة، ولم يقل: «يقول أنفقت مالًا لبدًا»؛ لأن المال إذا كان في وجه الخير يطلق عليه النفقة والصدقة، وإذا كان في وجه الشر يطلق عليه الهلكة، فهنا يقول: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أَيْ: أهلكه في الحرام في شرب الخمر، ومعاقرة المومسات، والبطش والظلم، وليس بنافع له هذا الإهلاك، بل إنه: «**لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟**»[(١)].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أَيْ: في حال إهلاكه لماله في غير أوجه الخير، أيظن أنه غير مراقب؟ بلى، مراقب من الله، ومراقب من ملائكة الله، فإن الله بكل شيء عليم، وملائكة الله تخط عليه ما يفعل ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]، زد على ذلك: أن جوارحه تشهد عليه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤]، وفي حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[(٢)].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

ثم يقول الله عَزَّوَجَلَّ ممتنًا بنعمه على عباده لاسيما المعرضين الذي لم يراقبوا الله فيها: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ قيل: تشهد عليه يوم القيامة، ولتكن هذه النعمة داعية إلى شكر الله عَزَّوَجَلَّ، لو كنت أعمى البصر كيف يكون حالك؟ لا تعلم طريق قضاء الحاجة، ولا تستطيع أن تأتي السوق، وربما ضربت برأسك في عمود، وبرجلك في حجرة أو شوكة، فهذه نعمة جعلها الله لك، فلتستغل في طاعة الله، ومن طاعة الله أن ينظر بها إلى الحلال لا إلى الحرام ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١١)، والبيهقي في «المدخل» (٤٩٣)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

ومن طاعة الله أن تتفكر حين تنظر بها ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ أيضًا جعل الله له لسانًا يتكلم به بخلاف غيره من الحيوان أو الجماد ممن هو أكبر منه حجمًا، وأشد منه قوة، ومع ذلك ليس لديه لسانًا يتكلم به ولا شفتان يغطي بها فاه من دخول الأشياء الغريبة إليه، وتستقيم بها الحروف؛ وكثير من الحروف شفوية تتحرك معها الشفة، وتمايز بينها، زد على ذلك أنها تجمل الوجه، فلو رأيت رجلًا قد أحرقت شفتاه لربما كان منظره يخيف الناظر إليه، وأنت جمَّلك الله بهما، زد على ذلك أنه جعل لها الشارب من فوق يغطيها بشيء من الشعر، يقصر بين الحين والآخر حتى لا يطول ويؤذي، فتحفظ هذه الشفاه رطوبة الفم، إلى غير ذلك من النعم.

﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أَيْ: طريق الخير والشر، فإن النجد هو الطريق، وقيل: الثديين. والمراد بالهداية هنا: الهداية العامة، وهذا مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، ومثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:٥-١٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠]، فيعرف الإنسان مصالح نفسه.

ثم قال: ألا يستغل هذه النعم في اقتحام العقبة الكؤود المتعبة التي لا يصل إلى الجنة إلا باقتحامها، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ والاقتحام: هو الدخول في الشيء بقوة، يقولون: اقتحم الجيش المدينة، إذ دخلها بقوة وبطش. ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ مفسرة بما بعدها، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ. ثُمَّ بَيَّنَهَا فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ﴾ [البلد:١٢-١٤][1]. اهـ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/٤٠٥-٤٠٦).

هذا هو تفسير ﴿ٱلۡعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ**» . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «**لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ**»(١).

وأفضل الرقاب في العتق: أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنًا، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**»(٢).

وإعتاق النفس المملوكة أجرها عظيم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»(٣)، ويدخل فيها إعتاق الأسارى، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨﴾ [الإنسان:٨].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ**»(٤).

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ ومن اقتحام العقبة أيضًا إطعام الطعام في يوم المجاعة، أما في يوم الرخاء كل إنسان يطعم، طبخت قدرًا من الرز أكلت منه أنت والأبناء وزادت فضله تطعم، طبخت لحمًا وزاد فضله تطعم، لكن هذا الصنف ميز أنه يطعم في يوم ذي مسغبة، يوم الجوع الشديد، فيؤثر على نفسه وعلى أبنائه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٤).

(٣) متفق عليه، البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٥٤).

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحسنه بعض أهل العلم، قَالَ النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٢).

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَيْ: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا تربطه بينه وبينه قرابة من رحم أو غيره. والعناية باليتيم من الأمور المهمة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا(٣).

﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ أَيْ: فقيرًا ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ كأنها ألصق بالتراب من شدة فقره، يقولون: فلان فقير متربة، أَيْ: أنه أنحط في الفقر إلى أسفل درجاته، بحيث لا يملك شيئًا عينيًا ولا غير ذلك، فإعانة من تقدم ذكره من أعظم القربات.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ هذا المطعم والمنفق في أوجه الخير ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأن الكافر وإن أعتق أو تصدق، وأطعم لا يقبل منه، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

أليس عبد الله بن جدعان كان له جفنة كبيرة يحملها أربعة كل يوم يطعم بها فقراء مكة؟، ومع ذلك جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»(٤)، لكن يشترط فيمن يتجاوز هذه العقبة أن يكون من الذين آمنوا، واستيقنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، فإن الإيمان عند أهل الحق: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فيما بينهم يوصي بعضهم بعضًا بالصبر على أقدار الله، وعلى طاعة الله وعن معصية الله، فإن ذلك من أسباب تثبيتهم والله عَزَّوَجَلَّ قد وصى نبيه بالصبر في مواطن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) متفق عليه، البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٣٠٤)، عَنْ سَهْلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٢١٤).

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨]، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧]، ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠].

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ تواصوا بالتراحم فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١)، فالرحمة مطلوبة، ولا تنزع إلا من شقي، وأما المؤمن فإنه رحيم؛ ولذلك تجد رحمته في زوجه وفي أبنائه وفي أصحابه، بل وفي المجتمع، يحذر من الشرور والآثام، ويدعوهم إلى طريق الجنان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أَيْ: أصحاب الجنة الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ [الواقعة:٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [الواقعة:٨٨-٩١]، سموا بأصحاب اليمين؛ لأنهم يأخذون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة، وفي الدنيا يقدمون اليمين في كثير من شؤونهم، وكان النبي ﷺ يناول، ويأخذ، ويأكل بيمينه، كما جاء من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ**»(٢)، فصفة اليمين صفة لأهل الإسلام، وصفة الشمال صفة لأهل الإجرام.

وبعد أن بين حال المؤمنين قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ الذين جحدوا الآيات وكذبوا بها وردوها وأبوها وأعرضوا عنها ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أَيْ: أصحاب الشمال، وقد قال الله جَلَّجَلَالُهُ في وصفهم: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩﴾ [الواقعة:٩]، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾ [الواقعة:٤١-٥٠]، فهم أصحاب الشؤم، وأصحاب الشمال في دنياهم وأخراهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩٤).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

حتى في قيامتهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة:٢٥-٢٧].

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أَيْ: أصحاب المشأمة في نار، قد أغلقت وأطبقت عليهم أبوابها، زد على ذلك أنهم في عمد ممددة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة:٨-٩]، ولو تركوا على حالهم لكان عذابًا شديدًا؛ ولكنهم مع ذلك يكونوا أعمدة ممددة زيادة في العذاب والخزي، والنكال، سلمنا الله وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.